

١٥

سلسلة

حَقَائِقُ بَيْتِ الْحَرَامِ

الرَّسُولُ ﷺ يُصَاهِرُ الْيَهُودَ

بقلم : د. وجيهه يعقوب السيد

بريشة : ا. عيد الشافعي سيد

إشراف : ا. حمدي مصطفى

دار النشر

لو أردنا أن نضرب المثل على إنسانية الرسول ﷺ وعظمة أخلاقه ، لوجدنا مئات القصص والمواقف التي تبرهن على ذلك ، على أن قصة زواج الرسول ﷺ من جويرية بنت الحارث اليهودية الأصل ، تعد من أفضل النماذج ، التي تؤكد على عظمة هذا الرسول ﷺ وسمو أخلاقه ، حيث أثبت بهذا الزواج ، أن نفسه لا تعرف الانتقام أو الحقد ، بل تدعو إلى التسامح والحب والسلام ..

فها هو ذا ﷺ يتزوج جويرية بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق ، الذي قاد جموع اليهود ، وتآمر معهم على قتل محمد ﷺ مهما كان الثمن .. ولم يقابل الرسول ﷺ هذا الصنيع بما يستحقه ، بل ضرب المثل في السماحة والعفو .. ولتبدأ القصة إذن من بدايتها .

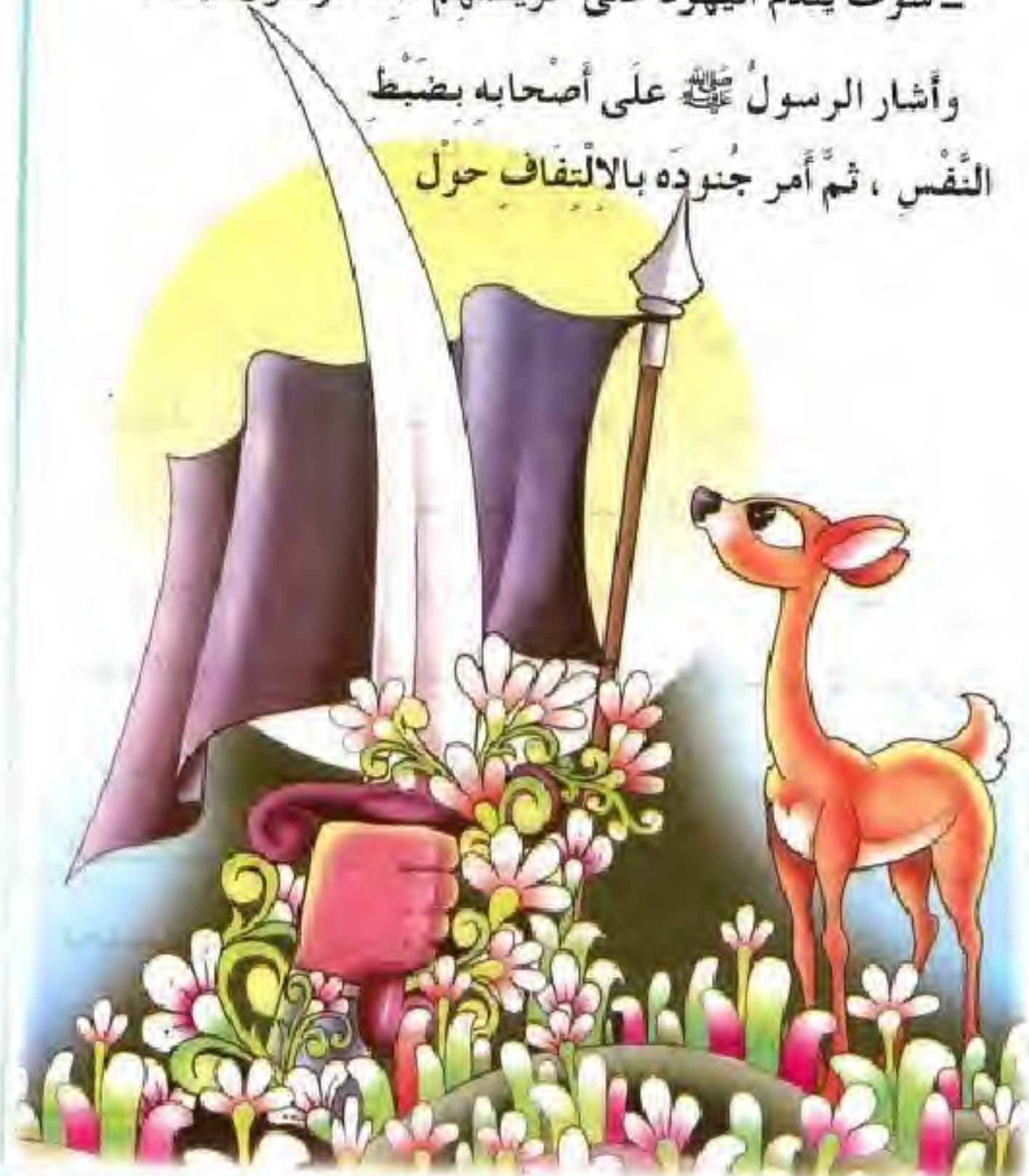
فقد وضع يهود بني المصطلق خطة لاغتيال الرسول ﷺ ، برغم العهد التي كانت بينهم وبينه ، وعلم الرسول ﷺ بذلك ، فجمع أصحابه وأسرع في الخروج ، لكي يفاجئوا اليهود في أماكنهم .

وَتَجْمَعُ الصَّحَابَةُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَالْغَيْظُ يَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ
بِسَبَبِ غَدْرِ الْيَهُودِ ، وَقَالُوا :

— سَوْفَ يَنْدِمُ الْيَهُودُ عَلَى تَحْرِيزِهِمْ ضِدَّ الرَّسُولِ ﷺ .

وَأَشَارَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ بِضَبْطِ

النَّفْسِ ، ثُمَّ أَمَرَ جُنُودَهُ بِالِاتِّفَافِ حَوْلَ



ماء «المريسيع» ، لكي يضمن المسلمون وجود الماء ، وفرض الحصار على يهود «بنى المصطلق» ، لكي يستسلموا له ، وراح يهود بنى المصطلق يقدفون المسلمين بنبالهم ولكن دون جدوى ، فقد كانت نبالهم لا تصيب أهدافها ، بينما راح اليهود يتساقطون أمام سهام المسلمين المتتالية .

وأمر الرسول ﷺ المسلمين بالهجوم الشامل على قواعد اليهود ، فاندفع المسلمون بقوة ، وحملوا على الأعداء حملة قوية ، وأخذت سيوفهم تحصد رقاب اليهود ، فمات منهم عدد كبير ، وهرب منهم عدد أكبر ، أما من بقي منهم فقد استسلموا للمسلمين ، فأخذهم المسلمون أسرى .

وبعد أن حققت هذه الغزوة أهدافها ، أمر الرسول ﷺ المسلمين بالعودة إلى المدينة المنورة ، فرجعوا وهم يحملون ما أنعم الله عليهم من الغنائم والأسرى ، وكان من بين الأسرى «جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار» ، قائد بنى المصطلق وزعيم المؤامرة ضد رسول الله ﷺ .

وأخذ كلُّ مُسلم نصيبه من الغنائم والأسرى ، فوَقَّعتُ
 «جَوِيرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ» في سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ ، فطَلَبْتُ
 مِنْهُ أَنْ يَقْدِيَهَا بِالْمَالِ وَيَتْرُكَهَا حُرَّةً لَوْجَهَ اللَّهِ ، لَكِنْ ثَابِتُ
 ابْنِ قَيْسٍ اشْتَرَطَ عَلَيْهَا أَنْ تَدْفَعَ مَالاً كَثِيراً لِكَيْ تَقْدِيَ
 نَفْسَهَا ، بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّهَا ابْنَةُ زَعِيمِ بَنِي الْمِصْطَلِقِ ،
 فَعَجَزَتْ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَدْ فَرَّ أَبُوهَا مَعَ الْفَارِسِينَ وَلَيْسَ مَعَهَا مِنْ
 الْمَالِ مَا تَقْدِي بِهِ نَفْسَهَا .



وسألت أسيرة كانت معها في الأسر :

- ما العمل ؟ وهل أصبح أسيرة وأنا بنت زعيم بني
المصطلق ؟

فقالت لها :

- اذهبي إلى محمد ، واعرضي عليه الأمر ، فقد يساعدك .

وتعجبت جويرية من كلام جارتها وقالت في دهشة :

- كيف أذهب إلى محمد ، وأبى هو الذي قاد جموع
اليهود ضده ؟

فقالت لها :

- لن تندمي ، فإن قلب محمد لا يعرف الحقد أو الانتقام !

وعملت جويرية بنت الحارث بمشورة صاحبها ،

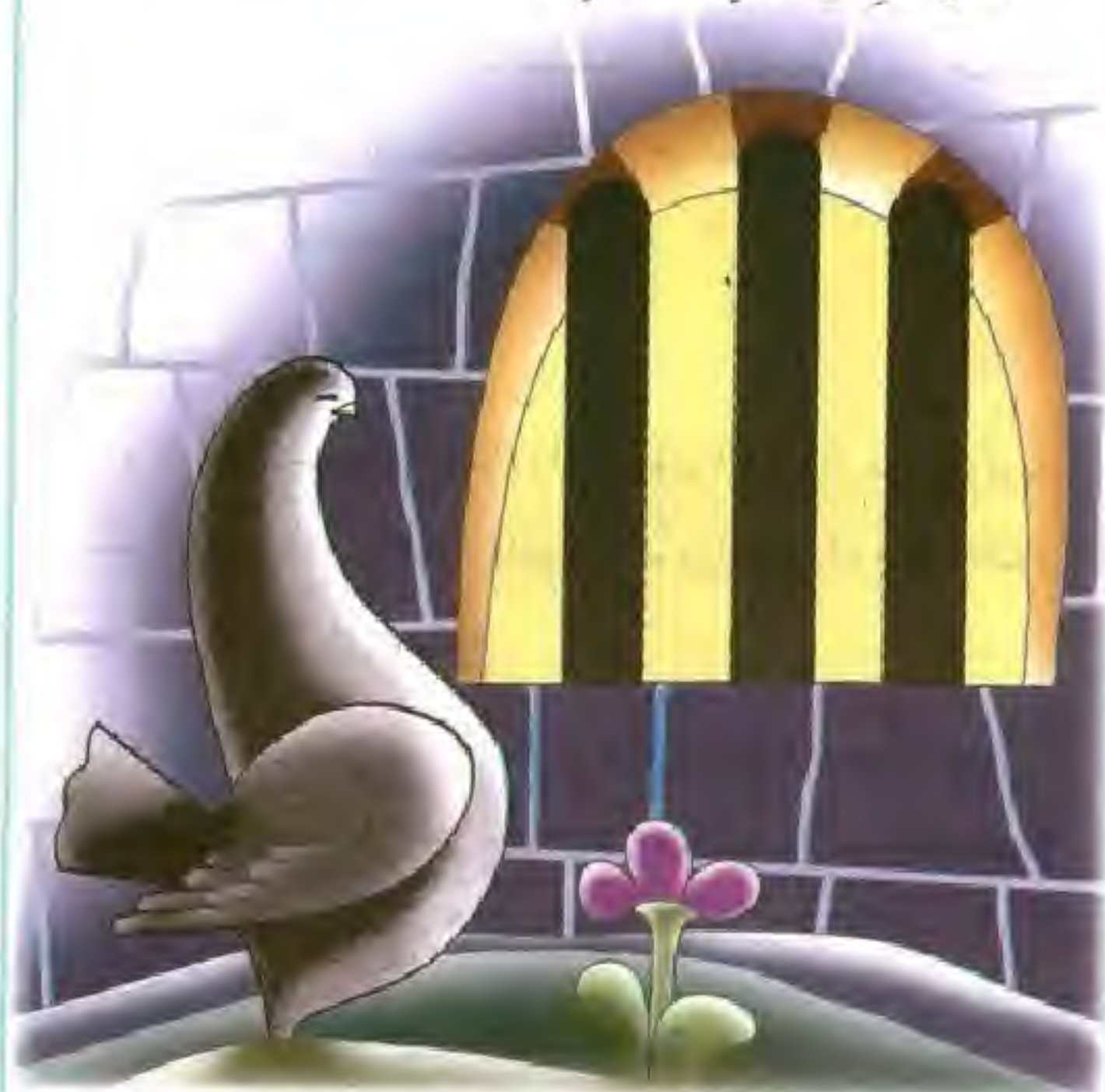
وذهبت إلى رسول الله ﷺ وقالت له :

- يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار

سيد بني المصطلق ، وقد أصابني من البلاء ما قد علمت ،

فوقعت في نصيب ثابت بن قيس ، فكاتبته على نفسي .

فَسَأَلَهَا الرَّسُولُ ﷺ عَمَّا تُرِيدُهُ كَيْ يَقْضِيَهُ لَهَا فَقَالَتْ :
- لَقَدْ جِئْتُ أَسْتَعِينُ بِكَ لَتَدْفَعَهَا عَنِّي وَتَرُدَّ إِلَى حُرِّيَّتِي !
وَنَظَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ :
- هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِمَّا طَلَبْتَ ؟



فَقَالَتْ جُوَيْرِيَّةُ :

- وما هو يا رسول الله ؟

فَقَالَ ﷺ :

- أَدْفَعِ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ !

وَلَمْ تَصَدِّقْ جُوَيْرِيَّةُ مَا تَسْمَعُ ، إِذْ سَتَّحَوَّلَ مِنْ مُجَرَّدِ
أَسِيرَةٍ عِنْدَ أَحَدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى زَوْجَةٍ لِسَيِّدِ الْبَشَرِ وَرَسُولِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَقَالَتْ عَلَى الْفَوْرِ :

- نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَعَلِمَ الْمُسْلِمُونَ بِنِّسَابِ زَوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جُوَيْرِيَّةٍ
بِنْتِ الْحَارِثِ الْيَهُودِيَّةِ ، فَأَذْرَكُوا أَنَّ وَرَاءَ هَذَا الزَّوَاجِ حِكْمَةً
سَامِيَّةً ، وَقَالُوا فِي تَسَامُحٍ :

- إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، صَارَ يَرْبِطُهُ بِالْيَهُودِ نَسَبٌ وَصِهْرٌ ،
وَيَجِبُ أَنْ نَطْلُقَ مَنْ فِي أَيْدِينَا مِنَ الْأَسْرَى إِكْرَامًا لِهَذَا
النَّسَبِ وَهَذِهِ الْمَصَاهِرَةِ !

فَأَرْسَلُوا مَنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ وَقَالُوا :

— هُمْ أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ !

فَكَانَ هَذَا الزَّوْاجُ سَبَبًا فِي عِتْقِ مِائَةِ أُسْرَةٍ مِنَ الْيَهُودِ ،
كَانَ مُصِيرُهَا إِمَّا الْأَسْرُ وَإِمَّا الْقَتْلُ ، وَبِذَلِكَ كَانَ هَذَا الزَّوْاجُ
الْمَيْمُونُ بَرَكَةً عَلَى عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْيَهُودِ ، وَفُرْصَةً لِسَائِرِ
الْيَهُودِ لِيَتَأَمَّلُوا فِي أَخْلَاقِ هَذَا الرَّسُولِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي



ضربَ لهمُ المثلَ الأسمى في السَّماحةِ وضبطِ النَّفسِ ،
وما زالَ يطمعُ في هدايتهم وتوبتهم .

ولذلك قال العلماءُ تعليقاً على هذا الزَّواجِ المبارك :

- ما من امرأةٍ كانت أعظمَ بركةً على قومها من جويرية
بنت الحارث ، حيث أُعتقَ بزواجها من رسول الله ﷺ ،
أهلُ مائةِ بيتٍ من يهودِ بني المصطلق !

وبعدَ مدَّةٍ طلبَ والدُ جويريةَ الأمانَ من الرسول ﷺ
فأعطاهُ إياهُ ، فجاءهُ وقالَ له :

- يا رسولَ اللهِ ، أَصَبَّيْتُ ابنتي ، وهذا فِدَاؤُها . فإنَّ ابنتي
لا يُسبَى مثْلُها !

فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ :

- أَرَأَيْتَ إِنْ خَيْرَتَها ، أَلَيْسَ قَدْ أَحْسَنْتَ ؟

فأجابهُ الحارثُ :

- بلى يا رسولَ اللهِ .

فأتى النَّبِيُّ ﷺ بجويريةَ بنتَ الحارثِ فسألها أبوها :

يا بِنْتِي قَدْ جِئْتُ بِفِدَائِكَ ، فَهَلْ تَأْتِينَ مَعِيَ أَوْ تَبْقَيْنَ مَعِ

محمد ؟

فَقَالَتْ جَوِيرِيَّةُ :

لَقَدْ اخْتَرْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

وَبَهَرَتْ أَخْلَاقُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْحَارِثَ بْنَ ضَرَارٍ حَيْثُ كَانَ
بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَحْتَفِظَ بِابْنَتِهِ أَسِيرَةً عِنْدَهُ ، لَكِنَّهُ ﷺ حَرَّرَهَا



مِنَ الْأَسْرِ ، وَتَزَوَّجَهَا وَأَعَادَ إِلَيْهَا كِرَامَتَهَا ، وَجَعَلَهَا أُمًّا
لِلْمُسْلِمِينَ ، شَأْنُهَا شَأْنُ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ وَزَيْنَبَ .

وَلَمْ يَلْبَثِ الْحَارِثُ طَوِيلًا حَتَّى دَخَلَ قَلْبُهُ الْإِسْلَامَ ،
فَقَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

— أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ !

وَمُنْذُ إِعْلَانِ هَذَا الزَّوْاجِ الْمُبَارَكِ ، صَارَتْ لِلْأَسْرَى مِنَ
الْيَهُودِ حُرْمَةٌ لَدَى الْمُسْلِمِينَ ، فَهَمَّ وَإِنْ كَانُوا قَبْلَ هَذَا
الزَّوْاجِ أَعْدَاءَ لِلرَّسُولِ ﷺ ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْبَحُوا أَصْهَارًا لَهُ ﷺ
بِهَذَا الزَّوْاجِ ، وَهَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا تَمَّ هَذَا
الزَّوْاجُ ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى سَعَةِ إِدْرَاكِهِ ﷺ ، وَحَسَنِ سِيَاسَتِهِ
وَتَقْدِيرِهِ لِلْأُمُورِ ، فَقَدْ كَانَ هَذَا الزَّوْاجُ دَعْوَةً لِلْإِسْلَامِ بَيْنَ
قَوْمٍ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْحَقْدِ وَالكَرَاهِيَةِ .

لَقَدْ خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ لِمَجْرَدِ تَأْدِيبِ يَهُودِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ،
وَلَمْ يَكُنْ يَرِيدُ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ ، فَأَعَانَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَنَصَرَهُ
نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، لَكِنْ هَذَا النَّصْرُ ، لَمْ يَكُنْ هُوَ كُلُّ مَا يَرِيدُهُ
الرَّسُولُ ﷺ ، بَلْ كَانَ يَطْمَعُ فِي انْتِصَارِ أَعْظَمِ مَنْ هَذَا ،

وهو انتصاره على هذه الأرواح الشريرة وغرس قيم الدين
ومبادئه في نفوسهم .

إنه كان يريد تغيير واقع هؤلاء ، فيصبحوا جنداً من
جنود الحق ، لا آلة عمياء تحركها الكراهية وبعث بها
الشیطان ، يريد أن تطهر قلوبهم ونفوسهم من هذا المكر
وهذا الخبث ، ولذلك فقد خرج ﷺ ،



وَالْأَمَلُ يَحْدُوهُ فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ ، وَحَقًّا لَقَدْ أَثْمَرَ زَوَاجُ
الرَّسُولِ ﷺ النَّتِيجَةَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي كَانَ يَتَمَنَّاها ، فَقَدْ ثَابَ
كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى رُشْدِهِمْ ، وَنَسِيَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّ مَا سَبَقَ
مِنْهُمْ ، فَصَفَّحُوا عَنْ مَاضِيهِمْ وَتَسَامَحُوا مَعَهُمْ .

وَكَانَ لِهَذَا التَّسَامُحِ أَكْبَرُ الْأَثَرِ فِي نَفُوسِ الْيَهُودِ ، حَيْثُ
ظَلُّوا مَتَذَكِّرِينَ لِهَذَا الصَّنِيعِ ، وَهَذَا الْمَوْقِفِ الْإِنْسَانِي
الْنَبِيلِ ، فَتَغَيَّرَتْ نَفُوسُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ .

وَأَرَادَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ * أَنْ تَكْفُرَ عَنْ مَاضِيهَا ،
حَيْثُ كَانَتْ تَعِيشُ فِي ظُلُمَاتٍ وَضَلَالٍ ، فَرَأَتْ تَكْثُرَ مِنَ
الْعِبَادَةِ وَتَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، فَهِيَ الْآنَ زَوْجَةُ
لِنَبِيِّ كَرِيمٍ ، فَمَا أَحْوَجُهَا إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ حَتَّى
تَكُونَ جَدِيرَةً بِهَذَا الْفَضْلِ .

وَلِذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ جُوَيْرِيَةُ تَقْضِي أَكْثَرَ وَقْتِهَا فِي الصَّلَاةِ ،
وَقَدْ مَرَّ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ وَهِيَ قَائِمَةٌ تَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ
مَرَّ عَلَيْهَا بَعْدَ فِتْرَةٍ وَقَدْ انْتَصَفَ النَّهَارُ ، وَهِيَ مَا تَزَالُ عَلَى
هَذَا الْحَالِ ، فَتَعَجَّبَ الرَّسُولُ ﷺ وَقَالَ لَهَا :

— ما زلت على ذلك !

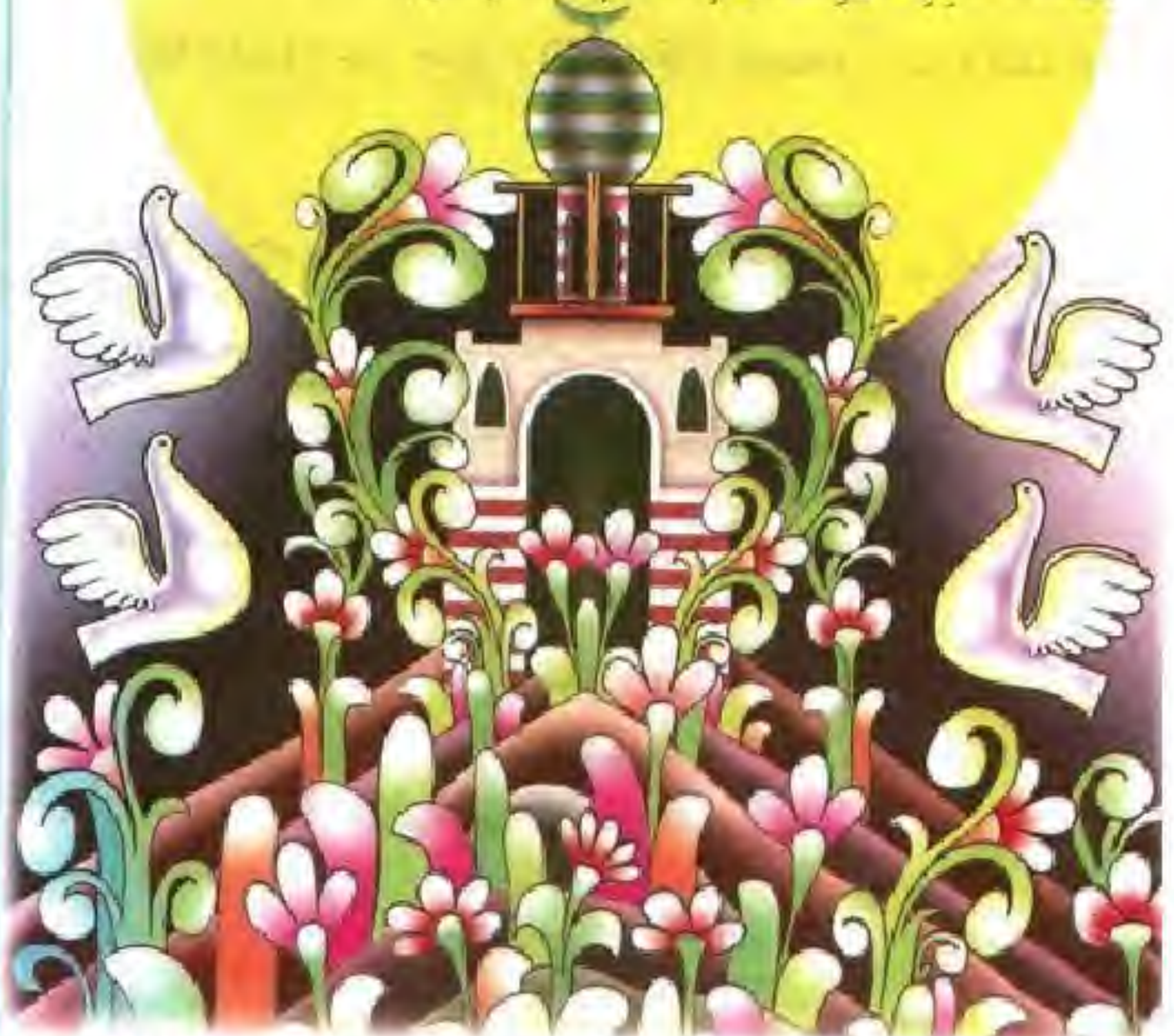
قالت :

— نعم .

فقال ﷺ :

— ألا أعلمك كلمات تقولينهن ؟ سبحان الله عدد خلقه ،

ورضاً نفسه ، ووزنة عرشه ، ومداد كلماته !



فكانت جَوِيرِيَّةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) لَا تَتْرُكُ هَذَا الدُّعَاءَ الَّذِي
 عَلَّمَهَا إِيَّاهُ الرَّسُولُ ﷺ ، كَمَا كَانَتْ جَوِيرِيَّةُ كَثِيرَةَ الصِّيَامِ ،
 دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَهِيَ صَائِمَةٌ ، فَقَالَ :
 أَصُمْتَ أُمْسٍ ؟ قَالَتْ : لَا . قَالَ : فَتَصُومِينَ غَدًا ؟ قَالَتْ : لَا .
 قَالَ : فَأَفْطِرِي !

فَعَلَّمَهَا الرَّسُولُ ﷺ ، وَعَلَّمَ كُلَّ الْمُسْلِمِينَ ، أَنَّ صِيَامَ يَوْمِ
 الْجُمُعَةِ بِمُفْرَدِهِ غَيْرُ جَائِزٍ ، إِلَّا إِذَا كَانَ مَصْحُوبًا بِيَوْمٍ قَبْلَهُ أَوْ
 بَعْدَهُ .

وَعَاشَتْ جَوِيرِيَّةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) حَتَّى عَامَ خَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ ،
 وَتَوَفِّيَتْ عَنْ عُمُرٍ يَقَارِبُ الْخَامِسَةَ وَالسَّتِينَ ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا
 الرَّسُولُ ﷺ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ ، رَحِمَهَا اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً ،
 وَنَفَعَنَا بِسِيرَتِهَا ، وَمَلَأَ قُلُوبَنَا بِالنُّورِ وَالْهُدَايَةِ !

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم

صفية بنت حيي بن أخطب (١)

وقم الإيتاع : ٢٠٠١/١٦١٢١

التوزيع الدولي : ٠٠٠ - ٦٩٦ - ٢٦٦ - ٩٧٧